

الجباية الفلسطينية : تاريخ وتحليل

الدكتور سعيد حمود

عيش الجباية الفلسطينية في المرحلة الراهنة حالة يمكن تصويرها بالمنظار العلمي على انها حالة فوضى وانفلاش ، اذ انه لا توجد للعمل الفلسطيني أداة جباية واحدة ، بل عدة ادوات ، حتى ان الادوات المختلفة لا تقوم بعملها على أسس منسجمة ومدروسة ، كما ان اوعية الجباية (الفئات على اختلاف أنواعها) التي تعرف منها الجبايات ليست محصورة على أساس الاسلوب والاطار العلميين المتسلحين بالتنظيم . تعكس هذه الحالة نفسها على الواقع المالي للعمل الفلسطيني بأشكال ونتائج عديدة لعل أهمها هو التالي :
أ - لكل منظمة من المنظمات الفلسطينية جهاز مالي مستقل ، يقوم بنشاطاته ويضع مخططاته (هذا اذا وجد التخطيط) دون أي اعتبار لوجود الاجهزة الأخرى ، مما يؤدي في كثير من الأحيان الى تقاطع ونضارب في عمليات الجباية بين عدة منظمات دفعة واحدة . ب - هناك عزلة تامة بين الاجهزة المذكورة وبين الصندوق القومي الفلسطيني ، الذي أسس ليكون جهاز الجباية الوحيد للعمل الفلسطيني ، والذي كان من المفترض أن تصب فيه كافة الاموال الجباية ليقوم هو بتوزيعها على متطلبات العمل الفلسطيني في كافة جوانبها . ج - تتم عملية الصرف والتصرف بالاموال الجباية بأسلوب أبعد ما يكون عن تعيين الاهداف والارتباط بسلم اولويات مدروس ، وبعيدا عن اعتبارات العلم والتوجيه وتركيزه الى ضرورات العمل ومتطلباته . د - نتيجة لهذا كله ونظرا للظروف القاسية التي يمر بها العمل الفلسطيني(١) ، فاننا نلمس الان نصوبا وضمورا في موارد الجباية الفلسطينية . فلا الجباية الشعبية ولا الجباية من الحكومات ولا من الجاليات العربية في الخارج تدر موارد تتناسب مع طبيعة الاعباء الماثلة امام العمل الفلسطيني . هذه باختصار أهم ملامح الصورة التي يعيشها واقع الجباية الفلسطينية الراهن ، ولو انه كان ممكنا ان نستعين بأرقام حقيقية حول تطورات احجام الجباية والقنوات التي صبت وتمصب فيها ، لازدادت الصورة وضوحا ولبيئنا علما حقيقة ما نرمي اليه . غير ان هذا الأمر مستحيل بسبب الاوضاع السائدة(٢) . اما عن الاسباب والكوامن التي دفعت بالصورة الى واقعها الحالي ، فانه من المستطاع تسجيل صفحات عديدة مليئة بالقضايا السياسية والعسكرية وبقصص التنافس الحزبي والتيارات وبغيرها من الأمور ، غير اننا نكتفي هنا بالاشارة الى جملة اسباب عامة : (١) التشتت الذي يعاني منه العمل

دخلت منظمات العمل الفلسطيني ومن المستحيل أيضا اعطاء صورة رقمية حول هذه الاموال على البنود المختلفة ، اولا بسبب صعوبة عملية الحصر نفسها ، وثانيا بسبب رفض المنظمات ان تطلع أحدا على مواردها الحقيقية وكيفية تصرفها بها .

١ - تجدر الملاحظة هنا : ان تسوة الظروف السياسية والعسكرية انما تفرض ان تزداد موارد الجباية ، غير ان هذه المعادلة غير قائمة بل عكسها هو القائم بسبب القضايا المشار اليها .

٢ - انه من المستحيل حصر حجم الموارد التي